الكتاب من لوازم الحياة

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

مؤسسة الوعيّ الإسلامي
للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر
بيروت . لبنان

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل صديق في الوجود كتاب

فالكتاب هو الطريق إلى الوعي ، وإنّما تقاس الأمم بمقدار وعيها ، فكلّما زادت وعياً ازداد تقدمها في الحياة .

من هنا فالكتاب هو السبيل إلى التقدم والحضارة .

والكتاب هو الطريق إلى التغيير ، فبعض الثورات بدأت بكتاب .

فالثورة الفرنسية بدأت بالكتاب، فقد نُشر في تلك الحُقبة عشرات بل مئات الكتب التوعوية ، وقد فتحت هذه الكتب عيون الملايين من الفرنسيين على واقعهم المزري تحت ظلّ الاستبداد ، فكان ذلك بداية تحرك المشاعر ومن ثم تحرك المجتمع نحو المطالبة بحقه القانوني في السيادة والحرية[1] .

ولو أردنا أن نذكر نماذج أخرى على أثر الكتاب في مصائر الشعوب لطال بنا المقام[1]

---

(١) ومن هؤلاء الكتّاب : بودان صاحب نظريّة السيادة ، وتوماس هويز صاحب نظريّة سلطة الشعب ، وجون لند صاحب النظريّة الليبرالية الحديثة ، وشارل مونتسيكو صاحب نظريّة الفصل بين السلطات الثلاثة، وجان جاك روسو صاحب نظريّة الحرّية . كما إنّ الكاتب الفرنسي ميرابو أصدر كرّاساً في عشيّة الثورة الفرنسيّة باسم حريّة الطباعة سنة ١١٩٢هـ (١٧٧٨م) ، وأصبح كتابه هذا نواة في صياغة الحقّ المتعلّق بحرّية الكلمة ـ في المجلس الشعبي في باريس ـ كحقّ طبيعي لكلّ مواطن ، وأصبحت الأفكار الواردة في كتابه هذا من أهمّ شعارات الثورة الفرنسيّة .

(١) كما استطاع الكاتب الألماني لوثر أن يقف بوجه الكنيسة وصكوك الغفران سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) ، واستخدم في حركته هذه والتي دامت أربعة سنوات تقنيّة الطباعة ولغة تفهمها الشعوب . وعبّر عن آرائه في عدد من الكرّاسات والتي تكرّر طبعها إلى ثمانمائة طبعة ، وإنّ كتابه النبلاء طبع منه أربعة آلاف نسخة سنة ٩٢٧هـ (١٥٢٠م) ، وخلال فترة قصيرة جدّد طبعة خمسة عشر مرّة . ومن جملة مطالبه في

.

وليس أدلّ على هذه الحقيقة من كتاب الله الذي أرسى قواعد أعظم حضارة إنسانية في الوجود . يقول تعالى ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله﴾[٢]. فالآية الكريمة تبين لنا أهمية كتاب الله ودوره في حياة الأمة والأثر الكبير الذي يتركه على الجماد فكيف بالأحياء ؟

والكتاب كان قبل كل شيء ..

فهو أول وسيلة وعي اكتشفها الإنسان ، ولازال الكتاب محتفظاً بقيمته ومكانته بالرغم من مرور القرون والعصور .

واليوم ونحن نعيش ثورة كبرى في وسائل الاتصال وأجهزة المعلوماتية حيث سُميت بثورة المعلوماتية ، فنشاهد كيف استطاع القرص الواحد من أقراص الكمبيوتر أن يخزّن الكثير من المعلومات التي تعادل حجم مكتبة بأكملها .

ومع ذلك فقد ظلَّ الكتاب محتفظاً بمكانته ومنزلته ، ولا يمكن الاستغناء عنه حتى مع وجود هذه الوسائل والأجهزة ، ويعود السبب في ذلك إلى أن الكتاب هو الأصل وهو المادة التي تستند إليها تلك الأجهزة المتطورة .

فبدون الكتاب لا يمكن الاستفادة من أقراص المعلوماتية .

والكتاب صناعة قديمة .. تجمع بين صناعة الورق وصناعة الحبر وصناعة الحروف الهجائية والأرقام .

وبعد أن يتم إعداد الكتاب للطبع تبدأ هذه المرة عملية استنساخه إلى الأعداد المطلوبة .

وبعد الطباعة تبدأ مرحلة النشر والتوزيع التي يتم فيها إيصال الكتاب إلى طالبه .

ولما كان الكتاب هو عصب الحضارة ، فكان لابد من الاهتمام بهذه الصناعة حتى تأخذ دورها في الحياة ، وشكلها ورونقها في حضارة الإنسان .

وأول خطوة على طريق الاهتمام هي تشجيع ذوي الأقلام والفكر لإطلاق أفكارهم وطروحاتهم . فالكتاب لابد أن يساير ركب الأمة، ولا يحدث ذلك إلاّ عندما يُكتب بأقلام

أثناء حركته الإصلاحية، الدعوة إلى الإكثار من طباعة الكتب وتأسيس مكتبات عامّة في المدن .

(٢) سورة الحشر : الآية ٢١ .

صادقة تعيش العصر وتتفاعل مع الأحداث .

من هنا فنحن بحاجة إلى الكتاب الجديد في كل ثانية ودقيقة، حيث الأحداث تتلاحق سراعاً ، وهذا لا يتحقق إلاّ بتشجيع ذوي الأقلام على التأليف والتحقيق .

أما الخطوة الثانية فهي تشجيع أصحاب الأموال على بذل جزء من أموالهم على الطباعة والتأليف . فما يبذلونه سيعود نفعه على أنفسهم بالدرجة الأولى ، لأن مشاركتهم في صناعة الكتاب ستؤدي حتماً إلى تحريك عجلة التقدم وتسارعها إلى الأمام ، وكلَّما تقدَّم المجتمع تقدَّم أفراده أيضاً ، ويشمل كل غني وفقير في هذا المجتمع . فكان لابد من تخصيص جزء من أموال الأمة لصرفها في صناعة الكتاب .

تمويل أعمال التأليف والتحقيق .

تغطية نفقات الطباعة .

تحمل أعباء نقل الكتاب عبر الوسائط الرسمية أو الشخصية .

أما الخطوة الثالثة فهي مطالبة الحكومات بفك الحصار عن الكتاب وإلغاء الرقابة على الكتاب ، لأن هذه الرقابة بمثابة الرقابة على العقل والفكر ، إذ من المستحيل فرض أية رقابة على فكر الإنسان وعقله .

فلا معنى للرقابة في عصر الفضائيات والانترنيت، إذ بمقدور أي إنسان أن يوصل كلامه وأفكاره إلى آخر الدنيا ، وحتى إلى المناطق الممنوعة ، فإذا بات ذلك حقيقة مسلّمة فلابد من دعوة الحكومات إلى الكف عن الرقابة، لأنها لا تستطيع أن تمنع تدَّفق الأفكار ؛ والفكر لا يعرف حدود الممنوع ، كما لا يقرّ بالحدود الوهمية التي تصنعها الحكومات .

ولأهمية الكتاب ودوره في الحياة كتب الإمام الشيرازي (دام ظله) هذا الكتاب ليضعه بين أيدي أبناء الأمة سواء من المؤلفين أو أصحاب الأموال أو أصحاب الخبرات في مجال الطباعة والنشر والتوزيع .

وهو كتاب فريد من نوعه ، لا نجد له مثيلاً في رسالته ودعوته الخيّرة ، سيما وأنّ صاحب هذه الدعوة هو المرجع الديني الإمام الشيرازي صاحب الموسوعات والدوريات والكتب الكثيرة التي بلغت الألف .

والكتاب على رغم صغره إلاّ إنه يحمل عصارة تجارب الإمام الشيرازي في حقل الكتب

.

ويبتدأ الكتاب باستعراض أهمية الكتاب في بناء حضارة الأمم ، ومن ثم ما يتعرّض له الكتاب الإسلامي من استلاب وحرب شعواء أعلنتها الحكومات المستبدة على الكتاب والكُتّاب .

ثم يتطرّق بعد ذلك إلى أساليب دعم الكتاب الإسلامي ، وكيفية تطويره ليصبح مناراً للإشعاع الفكري والحضاري للأمة .

ولأجل ذلك ارتأينا طبع هذا الكتاب وتوزيعه حتى يتسنّى للمؤمنين مطالعته ، مساهمة منّا في نشر الوعي والتثقيف، راجين من المولى القدير أن يوفقنا لذلك ، وأن يتقبله بقبول حسن، إنّهُ نعم المولى ونعم النصير .

مؤسسة الوعي الإسلامي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين .

لقد ضعفت علاقة المسلمين بالكتاب بالرغم ممّا له تأثيرٌ في تطوير اللغة ونشر المعارف والعلوم وبالرغم من أنّه أهم وسيلة لتثقيف وتوعية الأمّة ، وهو الوسيلة الوحيدة التي تمتلكها الأمّة ، بينما سائر الوسائل التثقيفية بيد الحكومات ، وهي توجّهها لتقوية سلطتها بعمدٍ غالباً وبجهل قليلاً .

فتجزئة العالم الإسلامي أوجدها الغرب ونفّذها كوكس ولورنس في بداية القرن الحالي ولازالت أجهزة حكّام المسلمين تصرّ عليها[1].

فهل يمكن أن يقال ذلك عن جهل ؟

نعم يمكن أن يقال إنّ ذلك عن جهل شاذ منهم ، وهناك عشرات الأمثلة الأخرى .

إنّ الثقافة . ومن جملتها الكتاب . من أهمّ ما يحفظ الأمم واستقلالها وصمودها أمام غزو الأعداء ، ولذا نرى الأمم الحيّة دائماً تهتم بالكتاب كلَّ الاهتمام ، بينما الأمم الميتة لا تهتم به أي اهتمام[1].

إنّ من أسباب قوّة المسلمين الأوّلين قوّة الكتاب والعلماء عندهم[2]، حتّى أنّه خلال

---

(١) للمزيد راجع كتاب سبز آباد ورجال الدولة البهيّة للمؤلّفة ميّ محمّد الخليفة .

(١) ولا يخفى ما للكتاب من آثار إيجابية أخرى ، منها أنّه يؤثّر وبشكل جوهري على تشكيل اللغات وترسيخها، وله دورٌ متميّز في انتشار القراءة والكتابة خاصّةً في سكّان المدن ، وله دورٌ فعّال في إيجاد التواصل العلمي والمعلوماتي والتقني بين الشعوب والحضارات وفي تغيير المسارات الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة للأمم . هذا بالإضافة إلى كونه ثقافةً لأيّ نهضة وآليةً لعملها .

(٢) ولا غرابة ممّا يقوله التاريخ من إنّ المسلمين برعوا في تأسيس المكتبات العامّة في أغلب المدن الإسلاميّة كالبصرة وخراسان وسمرقند ودمشق والقاهرة ومراغة وبغداد وحلب والموصل وقرطبة وغرناطة،

قرن من الزمان نبغ في المسلمين خمسة آلاف عالم ، وكان لنصير الدين الطوسي مكتبة تضم أربعمائة ألف كتاب وكتب أربعمائة كتاب أغلبها لازالت مخطوطة[1].

كما إنّ من ضعف الفرس إبان بزوغ شمس الإسلام أنّهم كانوا أعداء العلم والتعلّم إلاّ لطبقة الحكّام .

يروي التاريخ إنّ شخصاً قال لأحد ملوك الفرس إنّي أعطيك كلّ رأسمالي . وكان يعدّ رأسمالاً كبيراً . في قِبال الأذن بتعلّم ولدي العلم ؛ لكن الملك لم يأذن له .

والغرب إنّما نهض لاهتمامهم بالكتاب . ولم يصلوا إلى مدارج الحضارة إلاّ بالكتاب[2].

واليوم من أجل أن يصل الوعي إلى ملياري مسلم لابدّ من كتابة آلاف الكتب التثقيفيّة ، ولا عجب في ذلك فـ »آجاثا كريستي» البريطانية طُبع من كتبها مليار نسخة إلى غير ذلك ، وهي امرأة واحدة[1].

وكانت بعض هذه المكتبات تقدّم للقرّاء الأوراق والأقلام والمحابر بالمجّان ، وكان علماء المسلمين يوصون بمكتباتهم الخاصّة إلى المكتبات العامّة ليستفيد منها الناس . ولا غرابة من أنّ المسلمين أوّل من برع بنسخ الكتاب وتجليده بالكرتون والنقوش والرسومات الجلديّة ، وإنّهم أوّل من صنع الورق وتاجر به ، وبعد ٥٠٠ سنة من إنتاجهم للورق انتقل إلى أوربا ، وهم الذين نقلوه سنة ١١٤٧م عندما أسروا بعض الغربيّين في الحروب الصليبيّة، فعلّموهم صنعة الورق . ولا غرابة من اهتمام المسلمين بالترجمة ، ويعود الفضل إليهم في حفظ كتب الغرب عن التلف . يقول الدكتور الكسندر ستيبتشفيتش في كتابه تاريخ الكتاب ص ٢٣٤ القسم الأوّل ما حاصله : إنّ المسلمين نجحوا في مدّ جسرٍ قويٍّ بين ثقافة العصر القديم و ثقافة العصر الوسيط وحتّى ثقافة العصر الحديث ، وذلك بفضل سياستهم الحكيمة وبفضل اندماج المثقّفين والمؤسّسات الثقافيّة في مسار الثقافة الجديدة .

(١) وضخامة هذا العدد يتّضح لو نظرنا إلى أوربا في تلك الحقبة، فإنّ أهمّ مكتباتها لم تكن تضم أكثر من ألف كتاب ، هذا وقد أسّس المسلمون المكتبات العامّة والخاصّة وألّفوا المعاجم والفهارس التي سجّلت أسماء الكتب والمؤلّفين ، فقد ألّف ابن النديم الفهرست وألّف ابن خيّر الاشبيلي الفهرست وألّف الشيخ الطوسي الفهرست، وذكر فيه ٩٠٠ مؤلّف في مجال العلم والدين والأدب وغيرها .

(٢) فهناك صلة بين الكتاب والنهوض الاقتصادي والسياسي والثقافي .

(١) هذا إضافة إلى أن أغلب كتبها والبالغ عددها «١١٤» كتاباً قد مثّلت على شكل مسلسلات تلفزيونية ، شاهدها ويشاهدها الملايين من الناس .

وهذه الأوراق التي كتبتها تحمِّل مثقفينا مسئوليتهم اتجاه الكتابة ، وهي تحريضهم على الكتابة وعلى طبع الكتب ونشرها وتوزيعها .

وتحمِّل تجارنا مسئوليتهم اتجاه المساهمة في طباعة الكتب .

نسأل من الله سبحانه التوفيق لنا ولجميع العاملين بالأخص الذين يباشرون هذه المهمّة الصعبة ذات الآثار الكبيرة في حياة الأمّة .

قم المقدّسة

محمّد الشيرازي

الكتاب صدقة جارية

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث صدقة جارية أو كتب علم يُنتفع بها أو ولد صالح يدعو له)[٢] .

الكتاب صدقة جارية لكن لأهميّته ذكر وحده ، فهو من ذكر الخاصّ بعد العام ، ولا يبعد أن يراد بـ «كتب» أعمّ ممّا ينفع الدنيا أو الآخرة بقرينة إنّ الإسلام أهتمّ بالأمرين ، وورد في الحديث: (ليس منّا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه)[٣] وفي حديث آخر : (الدنيا مزرعة الآخرة)[٤]، والمسلمون تقدّموا بالعلم ، وسقطوا حين سمحوا للعلم أن يهرب من أيديهم إلى الغرب ؛ والغرب في الوقت الحاضر سيطر على العالم بالعلم ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٥]. ومن الواضح أنّ العالِم هو المسيطر على الجاهل .

إنّ العلم نَفَر من يد المسلمين ، والنعمة إذا نفرت قلّما ترجع[٢].

ولو راجعنا أحوال الدولة القاجارية التي استمرت مائتي سنة وتساءلنا ما هو إنتاجهم ؟

---

(٢) ونظير هذه الرواية وردت روايات كثيرة ، نذكر منها (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم ينتفع به) غوالي اللئالي : ج١ ص٩٧ . و(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث علم ينتفع به بعد موته أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له) غوالي اللئالي : ج٣ ص٢٨٣ . و(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث ولد صالح يدعو له وعلم ينتفع به بعده وصدقة جارية) جامع الأخبار : ص١٠٥. و(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) البحار : ج٢ ص٢٢ ومنية المريد : ص١٠٣.

(٣) وسائل الشيعة : ج١٧ ص٧٦ ب٢٨ .

(٤) مجموعة ورام : ج١ ص٩٢ ، إرشاد القلوب : ص٨٩ .

(٥) سورة الزمر : الآية ٩.

(٢) إلاّ إذا توفّر المقتضي وارتفع المانع .

لتبين أنَّ إنتاجهم في ذاك الزمان ، إنتاج العلماء الذين تنكبوا عنهم ، كالشيخ أحمد النراقي والشيخ مرتضى الأنصاري والشيخ الوحيد البهبهاني وغيرهم ، وقد أهدى أحد ملوك القاجار للشيخ البهبهاني (أعلى الله مقامه) قرآناً ذا قيمة مادية في جلده وبعض أوراقه .

قال البهبهاني: أرجعوه للملك ليقرأه ويوزع ثروته على المستحقّين.

ولو راجعنا تاريخ العثمانيين الذين حكموا خمسة قرون لرأينا أنهم أداروا ظهورهم للكتاب ، وعلى يدهم سقطت الدولة الإسلامية في حال كان الغرب في زمانهم يسعى سعياً حثيثاً للتقدّم العلمي ؛ هذا ما حدث في السابق أمّا الآن فمن الضروري الاهتمام بالكتاب النافع ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

فائدة الكتاب

كتبت كتيباً بعنوان «مَن هم الشيعة»[1] وبعثت به إلى الحج ليشهد من كانت الحركات المضلّة قد غمرته، أن ما سمعوا غير الحقيقة ، لعلّه يكون سبباً لرجوع الأخوّة الإسلامية .

أحد الأصدقاء حمل عدداً من نسخ هذا الكتاب إلى مكّة المكرمة ، وقد أخبرني قائلاً : وأنا في المدينة المنوّرة احتجت إلى الحمام ، فذهبت إليه، وعند خروجي منه أعطيت الحمّامي بالإضافة إلى الأجرة نسخة من هذا الكتاب .

فلمّا قرأ اسم «الشيعة» عليه غضب غضباً شديداً ورمى الكتاب بكلّ انزعاج على الأرض . فخرجت ولم أقل شيئاً .

وبعد أيّام احتجت إلى الحمّام مرّة ثانية ، واضطررت إلى الذهاب إلى نفس الحمّام، ودخلت بحالة اختفاء ، فرأيت الحمّامي نفسه جالساً عند الصندوق ، وحينما أردت الخروج خفية بعد تقديم المال إليه ، التفت إليّ ولم يأخذ منّي ، فتعجبت هل إنّه لم يعرفني؟

قلت : هذه أجرة الحمّام فلماذا لا تأخذها ؟

قال : بعد أن ذهبتَ في المرّة السابقة أخذتُ أطالع الكتاب بكلّ كراهيّة وحذر ، وإذا بي أقرأ أشياء معكوسة عمّا هو شائع عن الشيعة عندنا ، فالشيعة إمّا هم المسلمون وحدهم أو هم أحد المذاهب الإسلامية ؟ فحقّقت عن الأمر فتبيّن لي إنّ الشائع عندنا كان كذباً وزوراً وبهتاناً ، فغيّرت رأيي في الشيعة .

نعم.. الدعايات المضلّلة الصادرة عن جهات لها أغراضها تجعل من النبي : ﴿كذّاب أشر﴾[6]، كما ورد في القرآن الحكيم في وصف الكفار للرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم). ومن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : لا يدخل المسجد حتّى يُقتل فيه ، ومن الإمام الحسين عليه السلام : قُتل بسيف جدّه حيث خرج عن حدّه . إلى مئات من أمثال هذه

---

(١) وكان ذلك قبل أربعين عاماً .

(٦) سورة القمر : ٢٥ .

الأراجيف الباطلة[٢].

والعلاج ، هو إرجاع المتخاصمين إلى التحقيق والبحث الهادئ عبر الندوات الفكريّة والمؤتمرات والحوارات ، حتّى يظهر الحقّ لمن جهله .

نعم لا يمكن علاج المعاند ، ولذا قال سبحانه : ﴿أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾[٧] وقال عزّ من قائل : ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولي حميم ۞ وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظّ عظيم﴾[٨].

---

(٢) وبعض الدعايات استخدمت أسلوب «التحريف» للقضاء على المؤلّف ، كما حصل ذلك للحاج النوري حيث كتب كتاباً بعنوان «فصل الخطاب في ردّ تحريف الكتاب» فقام البعض بتحريف كتابه ، فحذفوا ردوده وأثبتوا أصل الإشكال .وكذا حصل للشيخ المفيد، حيث حرّفوا كتابه الذي كتبه انتقاداً على بعض الكتب المحرّفة السماويّة ، فذكروا أصل الاشكالات دون أجوبتها . وكذا حصل للشيخ البهائي ، حيث حرّفوا كتابه «الكشكول» . وكذا حصل للشيخ الطبرسي ، حيث حرّفوا كتابه مكارم الأخلاق .

(٧) سورة النحل : الآية ١٢٥.

(٨) سورة فصلت : الآية ٣٤-٣٥.

رؤياي للإمام الحسين عليه السلام

الرؤيا ليست حجّة ، إلاّ على ما ذكره صاحب القوانين في الجملة[1]، وقد ذكرت في كتاب المنامات تفصيلاً حول ذلك .

ذات مرّة في مدينة قم المقدسة رأيت الإمام الحسين عليه السلام في المنام لأوّل مرّة جالساً في إيوانه الشريف وهو متجه نحو القبلة والضريح وراءه ، وكان بالزي الروحاني في أكمل وضعية وأنور جمال ، وأمامه في الإيوان قبور مرتفعة عن الأرض كلّ قبر بقدر إصبع أو ما أشبه ، وكانت تلك القبور قبور خطباء المنبر الحسيني .

وعرفت جملة منهم ممن كانت الحياة والموت عندهم سواء ، فكانوا يخرجون من القبور ومتى ما شاءوا دخلوها كأموات ، وكان لكّل قبر من تحته أنبوب ممدود إلى الصحن الشريف مُنتَهٍ إلى حوض صغير فيسير الماء داخل الأنبوب إلى الحوض ، والناس محتفوّن بتلك الأحواض يشربون منها ويتوضأون ويغسلون وجوههم وأيديهم منها .

وفي هذه الأثناء خرج أحد الخطباء من قبره . وكان صديقاً لي . وتوجّه إلى الإمام عليه السلام وقال : يا بن رسول الله لماذا ليس في قبري أنبوب ولا حوض ؟

فرفع الإمام يده اليسرى وبسط كفّه ، وكأنّه يكتب بيمناه خطاً في كفّه اليسرى قائلاً له أنت لم تكتب كتاباً تتركه من بعدك ، ولذا لا حوض لك .

وقد أصررت[9] على ذلك الخطيب في حياته لكي يؤلّف ، لكنّه أبى ولم يكتب شيئاً .

---

(١) حيث ذكر في كتاب القوانين بحث (إيقاظ) ما لفظه: فالاعتماد . أي على حجّية الرؤيا . مشكل سيّما إذا خالف الأحكام الشرعيّة الواصلة إلينا، مع إنّ ترك الاعتماد مطلقاً حتّى فيما لو لم يخالفه شيء أيضاً مشكل سيّما إذا حصل الظنّ بصحّته وخصوصاً لمن كان أغلب رؤياه صادقة سيّما ملاحظة ما رواه الكليني عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول : (رأي المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزء من أجزاء النبوّة) .

(٩) يقصد الإمام الشيرازي نفسه .

وكان لقبر الشيخ عبد الزهراء الكعبي[٢] أنبوب إلى حوض له في الصحن كسائر الخطباء ، ففكّرت في أمره فهداني تفكيري إلى أنّ مقتل الإمام الحسين الذي يرتله أيّام عاشوراء طبع بعد وفاته عشرات الطبعات حتّى الآن .

هذه رؤيا، لكنّها ـ على الظاهر ـ من المؤيدات للحديث الشريف: (من مات وخلَّف ورقة علم ينتفع بها)[١٠] والحديث الآخر : (وكُتُب عِلمٍ ينتفع بها) .

(**٢**) ولد في كربلاء المقدّسة سنة ١٣٢٧هـ وانتهل العلوم والمعارف الإسلامية من معين مدارسها الدينيّة ، وبلغ مكانةً عالية في الخطابة الحسينيّة ، واتسم بالصفات الحسنة كالكرم والشجاعة والإقدام. واشتهر بقراءته لمقتل الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء . اغتيل بالسمّ عبر القهوة سنة ١٣٩٤هـ من قبل الحكومة البعثيّة في العراق . من مؤلّفاته : قتيل العبرة .

(**١٠**) فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (المؤمن إذا مات وترك ورقةً واحدة عليها علمٌ تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار ، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكلّ حرفٍ مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبعة مرّات) بحار الأنوار : ج٢ ص١٤٤ . وورد أيضاً عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (اُكتب وبثّ علمك في إخوانك ، فإن متّ فورّث كتبك بنيك ، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج ما يأنسون فيه إلاّ بكتبهم) بحار الأنوار: ج٢ ص١٥٠، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام : (اُكتبوا فإنّكم لا تحفظون حتّى تكتبوا) بحار الأنوار : ج٢ ص١٥٢ ح٣٨ ب١٩ .

تراجم الإنجيل

لابدّ من الاهتمام بترجمة القرآن الحكيم إلى ما لا يقل عن ألف لغة.

وقد رأيت في تقرير إنّ الكتاب المقدّس عند المسيحيين قد ترجم إلى ألف لغة ، وإنّ القرآن الحكيم قد ترجم إلى بضع وأربعمائة لغة .

ولندع الفرق بين مضامين الكتابين، وعدد المسلمين ألفا مليون وعدد المسيحيين ألف مليون ، كما قرأتهما في كتابين معتبرين .

وقرأت في مجلّة «العربي»[1] الكويتية إنّ ترجمة حياة «محمّد إقبال اللاهوري»[2] قد كتبت في خمسة آلاف كتاب بمختلف اللغات، فهل أحوال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كتبت في خمسة آلاف كتاب ؟

وقرأت في مجلّة «دعوة الحقّ» المغربية إنّ الحكومة الهندية جمعت آثار «غاندي» [3] في ثلاثمائة مجلّد ، فهل لنا كتاب حول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بثلاث مائة مجلّد[1] ؟

---

(١) انظر مجلة العربي العدد ٤٠٣ .

(٢) من شعراء وفلاسفة الهند ، ولد سنة ١٨٧٦م ومات سنة ١٩٣٨م ، وله عدّة مؤلّفات باللغتين الأوردية والفارسية .

(٣) المصلح الاجتماعي الهندي ، والذي أنقذ بلاد الهند من الاستعمار البريطاني وسعى إلى توحيد الهند رغم تعدّد اللغات والأديان والمذاهب . ولد سنة ١٨٦٩م وقتل سنة ١٩٤٨م ، ومن مؤلّفاته : قصّة تجاربي مع الحقيقة .

(١) عند بزوغ فجر الإسلام اهتمّ المسلمون باللغة العربيّة وبالكلمة المكتوبة وبالقرآن الكريم أشدّ اهتمام، يقول الدكتور الكسندر ستيبتشفيتش في كتابه تاريخ الكتاب القسم الأوّل ص٢٣٤ ـ ٢٣٥ ما نصّه: الخطّ بالنسبة للمسلمين ليس مجرّد نظام عملي للحروف التي تعبّر عن الأفكار، بل هو أكثر من ذلك بكثير . إنّ الخطّ العربي نفسه هو الذي كتب به القرآن وغيره من الكتب ، مقدسٌ في حدّ ذاته ،

إنّ كلّ ذلك يدلّ على عدم إدراك الكثير من المسلمين لمتطلبّات العصر ، نعم ..

أيتها النفس أجملي جزعاً إنّ الذي تحذرين قد وقعاً

وهذا من مظاهر تأخّر المسلمين في هذا القرن ، فهل من يقظة ؟

يقول الشيخ البهائي :

مافات مضى وما سيأتيك فأين قم فاغتنم الفرصة بين العدمين

فلنهتم جميعاً لتدارك الأمر كلّ بقدره ، وكلٌ بما يتمكّن لنشر الكتاب ، إمّا بإعطاء المال أو بالسعي للحصول عليه ، أو بإنشاء الجمعيات الخيرية يكون من اهتمامها طبع الكتاب ونشره ، ولنقم بها . والحال إنّ الألسن مطلّقة والأموال متوفّرة والإمكانات متاحة . قبل أن نأسف ، حيث فاتت الفرصة .

وله مغزى ديني ورمزي عميق . إنّ الخطّ العربي يستخدم في آنٍ واحد للرسم والتزيين والتعبير عن الأفكار ، وهكذا فالخطّ العربي يتداخل مع المشاعر الإسلامية ومع الفنّ الإسلامي إلى حدّ إنّه أصبح جزءاً لا يتجزأ من الهويّة الدينيّة والقوميّة، وذلك بغضّ النظر عن المكان والزمان الذي يكتب فيه . إنّ نسخ القرآن هو في حدّ ذاته عملٌ ديني وسحري، ولذلك فإنّ هذا الكتاب المقدّس ينسخه كلّ من يطلب التقرّب إلى الله أو ينتظر الرحمة من الله أو كلّ من يتمنّى أن يرضي الله بعمله هذا . وهكذا فإنّ التفنّن في كتابة الحروف أو ابتداع تشكيلات جماليّة من الحروف ما هو إلاّ عمل المقدّس، ولذلك لا نستغرب إنّ العرب، والمسلمين بشكل عام، قاموا بذلك النشاط العظيم في نسخ المؤلّفات ، الشيء الذي لا نجد له مثيلاً في تاريخ الكتاب المخطوط .

الرقابة

الرقابة على الكتب هي عادة الحكومات الاستعمارية والاستبدادية[1]، وقد رأيناها في العراق منذ قيام الجمهورية في انقلاب عبد الكريم قاسم[2] إلى هذا اليوم ، حيث يمرّ أكثر

---

(١) وسجّل التاريخ أوّل حادثة مصادرة الكتاب وإحراقه في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث أُحرقت وبشكل علني كتب بروتاغورا سنة ٤١١.٤٨١ قبل الميلاد.

(٢) وكان ذلك في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ (الرابع عشر من تموز ١٩٥٨م) . من الوسائل التي استخدمتها الحكومات الديكتاتورية للتخلّص من الكلمة المكتوبة وإبقاء الشعوب على جهلها وتخلّفها هو وضع الرقابة على وسائل الثقافة والإعلام ، وعلى الخصوص الكتاب ، الّذي يعتبر سلاح الشعوب في مواجهة الاستبداد . وسجّل الكفاح المرير في سبيل نشر وتوزيع الكتاب أنبل صفحات التاريخ الثقافيّة والإنسانيّة. وقد خسر الكثير من المؤلّفين والناشرين وأصحاب المكتبات والقرّاء في هذه الحرب ممتلكاتهم ومراكزهم الاجتماعيّة وحتّى رؤوسهم، بينما انتهت الكثير من الكتب إلى منصّات الإحراق والبحيرات والأنهار. والرقابة على نوعين: الوقائيّة وهي ممارسة الرقابة على الكتب قبل أن تُرسل للطبع، وأوّل من طبّقها الأساقفة سنة ١٤٨٥م في مدينة مانيس عندما أصدر رئيس الأساقفة برتولوفون هنبرغ مرسوماً بهذا الصدد . وهذا النوع من الرقابة تطور وأصبح أكثر فعّاليّة بعد أن أُضيف إليه نظام كامل من التهديدات والإجراءات التعسفيّة، وشكّلت لجان كثيرة في وزارات الإعلام وظيفتها قراءة الكتب قبل إرسالها للطبع، وكان لهذه اللجان الدور البارز في تحجيم حركة الفكر والمعرفة. ومن تجلّيات هذا القسم هو صدور قوائم بالكتب الممنوعة ، ومنع إدخال الكتب إلى البلاد ـ علماً إنّ أوّل من أستخدم هذا الأسلوب هو الملك البريطاني هنريك الثامن في القرن الخامس عشر الميلادي وتجاهل أسماء بعض الكتّاب والكتب في قواميس الأعلام والمؤلّفات المرجعيّة ـ والقسم الثاني هو الرقابة العلاجيّة وهي ممارسة الرقابة على الكتب بعد طبعها ، ومن تجلّيات هذا القسم حرق الكتب وإلقائها في مياه الأنهار . إنّ الرقابة بكلا قسميها قد انتشرت في بلاد الإسلام وخلقت جوّاً للمؤلّف حتّى ينقطع عن التأليف، كما حذّرت المطابع بالإغلاق والمصادرة، وحذّرت المواطن من اقتناء هذه الكتب أو قراءتها أو حتّى إعارتها. ولو أراد العالم الإسلامي أن ينهض ويصل إلى مصاف الدول المتقدّمة، عليه أن يلغي الرقابة ، كما ألغى العالم الغربي ذلك في بدايات القرن الثامن عشر الميلادي، فالسويد ـ مثلاً ـ تخلّصت

من أربعين سنة وشبح الرقابة جاثم على الصدور .

وقد طبعت الحكومة بسبب الرقابة كلّ كتاب سيئ ، ضدّ العقيدة والمجتمع ومحطّم للعلم والنزاهة والأخلاق ، في حين أنها منعت كل كتاب يخدم المجتمع ويدعو إلى التقدم والازدهار .

والهدف من الرقابة واضح فهي تريد خنق الإسلام[1]، وقد نَظَمتُ هذا البيت في حقّ الرقابة :

في بلادي في بلادي تخنق الدين الرقابة حيثما يُمرح الإلحاد ولا يخشى ارتقابه[2]

وفي زمان كنت في العراق عاقبت الرقابة الموزعين لمنشور من صحيفة ضدّ إسرائيل، بينما كانت تجيز كلّ يوم المناشير التي تعلن عن محلاّت الخمور والمباغي السرّية والعلنية والملاهي والمراقص .

وأخيراً ذكرت الصحف عن فتح صدام لألف ملهى في بغداد، وما كان ذلك إلاّ لأجل إفساد آلاف الشباب والشابات .

كما كانت بعض المنشورات تعلن عن أسماء محلاّت تستقبل الشباب لغرض الترفيه ، كذلك الشابات في أماكن مستقلّة عن الشباب ، والغرض هو نشر الرذيلة بين الشباب أنفسهم ، وبين الشابّات أنفسهنّ، في حين كان يمنع الشاب أو الشابة من زيارة مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف أو مرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة ويُعاقَبا على ذلك .

وعلى أيّ حال ، فالأصل في الأشياء الإباحة إلاّ إذا ظهر انحرافه لا العكس، كما إنّ

من الرقابة سنة ١٧٦٦م والدانمارك سنة ١٧٧٠م. وأفضل وسيلة للحدّ من سيطرة الرقابة، هو إيجاد ظروف مناسبة لإزالة الرقابة، ويتم ذلك بكتابة الكراريس والكتب حول حرّية الطباعة وحرّيّة الكلمة وأهميّة الديمقراطية والتعدّدية الحزبيّة ، على أن يكون أسلوب هذه الكتب مهذّب وسلس . وكذلك يتمّ بكتابة مواضيع عن التسامح بين الناس الذين ينتمون إلى أحزاب مختلفة ويحملون أفكار متباينة ممّا يسمح بخلق ظروف جديدة للكفاّح المكشوف ضدّ الأسس التي تقوم عليها الرقابة .

(١) وهذا واضحٌ لمن نظر إلى تاريخ الحكّام في بلاد المسلمين ، لأنّ الكلمة المكتوبة تشكّل خطراً على القيم الفاسدة التي يدعون إليها وعلى أساليبهم في الإدارة وعلى امتيازاتهم .

(٢) في بلادي في بلادي :ص٣٥ للإمام المؤلّف (دام ظلّه) .

الأصل هو حرّية الإنسان في سَيره ، وإذا ظهر إنّه لصّ ، فهل يمنع التجوّل لوجود بعض اللصوص ؟ وكذلك بالنسبة إلى الكتب والمجلاّت وما أشبه إلاّ إذا كانت مفسدة ، هذا بالنظر الشرعي أمّا بنظر القانون الغربي والعرف الغربي فالكتاب والمجلّة والجريدة هم من ضروريات الحياة التي لا يمكن لأية قوّة من منعها .

فالمهم إلغاء الرقابة ، وذلك لا يكون إلاّ بأن تتسلّح الأمّة بالوعي الكامل حتّى تستطيع أن تواجه الانحراف .

كتاب المراجعات

قال لي أحد تجّار الحجاز قبل زهاء أربعين سنة كنت أحضر مجلس الوزراء حيث كانت أموري التجارية مرتبطة به ، ليلة استقباله للضيوف وكان له كلّ أسبوع ليلة يستقبل فيها الضيوف ، وكان يحضر عنده على الأغلب تجار وهّابيون ، وكانوا على علم بأني شيعي فينالون من الشيعة بكلّ كذب وتُهَم وافتراء ، وكنت أسكت حيث أضطر إلى ذلك ، وعلى قول الشاعر :

إذا لم تجد غير الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلاّ ركوبها

ولم يتوان الوزير في مشاركتهم . وذات ليلة لما شرعوا في الكلام ضدّ الشيعة ، قال الوزير اسكتوا لا يحقّ لكم التكلّم ضدّهم إنّهم مثلنا مسلم،ون ، فتعجب الجميع وتعجّبت أنا أشدّ التعجّب من هذا التحوّل الذي طرا على الوزير ، ولم يقل أحدهم شيئاً ولم أتكلّم أنا .

ثم أضاف التاجر : جلست وجلست حتّى ذهب الجميع وبقي الوزير وأنا ، فقلت له رأيت اليوم منك عجباً ، لماذا قلت ما قلت وأنت تشارك أصدقائك في التهجّم على الشيعة كلّ مرّة .

قال الوزير : يا أخي إنّي كنت على ضلالة ، وصدفة رأيت كتاباً اسمه «المراجعات»[1]

---

(١) للإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين (قدّس سرّه)، والكتاب عبارة عن رسائل متبادلة بين أستاذ الأزهر الشيخ سليم البشري وبين السيّد شرف الدين حول الإمامة سنة ١٣٣٠هـ . ولد السيّد شرف الدين سنة ١٢٩٠هـ في مدينة الكاظميّة في العراق، ويعدّ من تلاميذ الشيخ محمّد كاظم الخراساني، تصدّى للاستعمار الفرنسي في لبنان ، فطاردته القوّات الفرنسيّة ، وتعرّض للاغتيال عدّة مرّات وأُحرق بيته ومكتبته وكتبه الخطّية التسعة عشر التي لم يتسنّى لها أن ترى النور. توفّي في الثامن من جمادى الثانية سنة ١٣٧٧هـ وترك عدّة مؤلّفات مطبوعة، منها: الفصول المهمّة في تأليف الأمّة ، أبو هريرة ، أجوبة مسائل موسى جار الله ، النصّ والاجتهاد، فلسفة الميثاق والولاية ، رسالة كلاميّة ، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة .

وقرأته كلّه ، فرأيت الشيعة على الحقّ وحدهم ، وإمّا أنّهم أخوة لنا، ومن بعد ذلك ليس لي أن أهاجمهم وإنّي لم أر في معاشرتي لهم طوال عمري خلافاً منهم للأخلاق أو الآداب .

وهكذا يغيّر الكتاب الواحد نظرة وزير ، أليس ذلك دليلاً على ما نحن بصدده من ضرورة نشر الكتب بين أوساط الناس حتّى يصلح الفاسد ويرأب الصدع .

عندما تتسخ قطعة أرض قوامها ثلاثة أمتار نحتاج إلى تنظيفها بإبريق من الماء ، وعندما تزداد المساحة عشرة أمتار فنحتاج في تنظيفها إلى كرٍّ من الماء ، وقد يتّسخ ألف فرسخ وحينئذ نحتاج لتنظيفها إلى ماء كثير يستوعب كلّ المساحة .

وهكذا الهجمة الثقافية التي غزت بلاد الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً في كافة مجالات الحياة.

رؤيا الحاج النوري

وشوهد الحاج النوري صاحب كتاب المستدرك يتمشّى على شطّ سامراء في حالة فرح وابتهاج ، فسُئل عن سبب فرحه ؟

قال : إنّي رأيت البارحة والدتي في قصر كبير من قصور الجنّة ولها أنهار وحور وولدان وأشجار ونخيل ، ولمّا رأتني والدتي استقبلتني بترحيب كبير ، وقالت لي إنني بسببك معروفة في هذا العالم بـ «مادر آغا» أي أم العظيم ، وإنّك لا تؤلّف كتاباً إلاّ وتأتيني الملائكة به في طبق من نور ، فازداد احتراماً أكثر فأكثر .

ولربّما أعتقد البعض أنّ هذه النتيجة التي حصلت عليها الأمّ خلاف للآية : ﴿وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾[١١].

فإنّه يقال : لاشكّ في أنّ كلاً من الآباء والأبناء يتأثّرون فيما بينهم في الخير والشرّ ، قال سبحانه : ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرّية ضعافاً خافوا عليهم فليّتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[١٢]، وقال تعالى : ﴿ألحقنا بهم ذرّيتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾[١٣] إلى غيرهما من الآيات والروايات .

فـ ﴿أن ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾ من باب الأصل ، وأمثال ما ذكرناه من الآيات من باب الاستثناء ، كما إنّ الوسيلة والشفاعة وما أشبه من باب الاستثناء أيضاً ، وتفصيل الكلام في ذلك في كتب العقائد ، وقد ذكرت شيئاً منه في التفسير الموضوعي .

إنّ الرؤيا ـ كما تقدّم ذكره ـ ليست حجّة ، على المشهور إلاّ إنّ الكتاب والسنّة والإجماع والعقل كثيراً ما تؤيّد بعض المنامات ، فاللازم الجمع بين الأدلّة .

---

(١١) سورة النجم: الآية ٣٩.

(١٢) سورة النساء: الآية ٩.

(١٣) سورة الطور: الآية ٢١.

وعلى أيّ حال، إنّ تأليف الكتاب وطبعه ونشره سيزيد من الثقافة وفيه خير الدنيا وخير الآخرة ، ومنهم من يقول : ﴿ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾[١٤].

(**١٤**) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

أهمية الكتاب الصغير الحجم

من خصائص الكتاب الصغير ، صغر الحجم ، اتساع الانتشار ، وسهولة المطالعة ، وقلّة تكاليف الطبع ، وسهولة الحمل . وربّما كان من أسرار توزيع القرآن الكريم إلى سور صغيرة هو ميل الناس إلى مطالعة القطع الصغيرة التي تنتهي بسرعة ، بينما إذا كان كلّ القرآن متّصل على شكل قطعة واحدة لم يكن لقراءته هذا الشوق عند عامّة الناس .

ثمّ إنّ للقرآن الكريم مفصّلات ومتوسّطات وصغريات أمثال سور ﴿عمّ يتسائلون﴾ وذلك حتّى لا يكون لأحد عذرٌ في عدم قراءته ، إلى غير ذلك من الأسرار التي ذكروها[1].

وقد دعت إسرائيل .كما في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون . إلى ضرورة جعل الضريبة على مثل هذه الكتب لأهميّتها وخطورتها.

فهذه الكتب كـ « السندويشة » التي يسهل تناولها ، فقد نقل لي أصدقاء سافروا إلى أوربا أن من عادة المجتمع الأوربي صرف أوقاتهم في المطالعة، فتجدهم وهم في القطارات أو الحدائق أو في عيادات الأطباء أو في أي مكان عام وبأيديهم كتبٌ صغيرة يطالعون فيها. فهذه الكتب لها قدرة الانطباع في ذهن الإنسان ، وحتّى لو نَسِيَ ما يقرأ ، إذ الإنسان يبقى في نفسه الأثر وإن نسيه ، وذلك الأثر المنتقل إلى اللاوعي هو الذي يصبغ حياة الإنسان بذلك الاتّجاه .

مثلاً : إذا عقدت مجلساً حسينيّاً في بيتك أو في المسجد تستطيع أن توزّع في اليوم الأخير عدداً من الكتب الصغيرة، فإنّ تكاليف طباعتها قليلةٌ بالقياس إلى الكتب الكبيرة . فإذا اعتاد أصحاب المجالس على توزيع الكتب خصوصاً في مواسم التبليغ تصبح الفائدة أكثر[1]. وربّما غيّرت مجرى الأمم في مدّة عقد من الزمان أو أقل، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) بدأ الغرب بطبع الكتب الصغيرة سنة ١٥٠١م .

(١) وقد دوّن الإمام المؤلّف (دام ظلّه) بعض اقتراحاته لاستثمار مواسم العزاء في شهري محرّم وصفر في كتابه : الاستفادة من عاشوراء .

الطغاة والكتاب

كان أحد طغاة بلاد الإسلام يضطهد الناس أشدّ الاضطهاد، ولذا فكّر المصلحون في النجاة منه ، فسلكوا طريق الكتاب والمنشورات والأشرطة أسلوباً لفضحه ، ومن جملة ذلك أنّهم كانوا يذهبون إلى «هايد بارك» في لندن حاملين رُزمة من الكتب الفاضحة يوزعونها على الحاضرين .

لكن كان أنصار الطاغية قد اتّخذوا من سفارتها وكراً لأجل الحيلولة دون قراءة الناس للكتب المضادة، فكانوا يقفون بباب الحديقة ويطلبون من كلّ حامل لتلك الكتب أن يبيعها لهم، ذلك لأنّ الطغاة يخافون من فضيحته أكبر خوف وبذلك ينجون الطاغية من انتشار فضحه ، وهكذا حال المسلمين من جانب والطغاة من جانب آخر .

فالأنبياء كانوا إذا تكلّموا بالإصلاح كان مناوئيهم يضعون أيديهم في أفواههم حتّى لا يتمكّنوا من التكلّم وكانوا يقولون: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾[١٥]، وكانوا يضعون الكُرسُف في آذانهم عندما يدخلون المسجد الحرام حتّى لا يسمعوا إلى قراءة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للقرآن .

إن عقلاء الغرب تمكّنوا من تحويل نظام الحكم إلى تعدّد الأحزاب حتّى لا يتمكّن أحد من منع الكتاب .

وإنّي لأذكر قبل سنوات كتب مفكرٌ غربي كتاباً ضدّ بريطانيا ، فألقت « تاتشر » ـ رئيسة الوزراء آنذاك ـ بثقلها لمنع الكتاب لكنّها لم تقدر على منعه ، ويجب التنويه هنا إلى أنّي لا أريد مدح الغرب بهذه الأمثلة وإنّما كان القصد الإلماع إلى لزوم حرّية الكتاب حتّى لا يتمكّن الطغاة من فرض الرقابة أو الاستخبارات أو ما أشبه ذلك ، ليفرقوا بين الكتاب والناس ، وإلاّ ستتحوّل بقية بلاد المسلمين إلى عراق آخر ، فاليوم ومنذ أكثر من أربعين سنة من انقلاب تموز لم يسمح لأهل العراق بطبع الكتب الحقة ونشرها بحرية، ومثل العراق غيره

---

(١٥) سورة فصلت: الآية ٢٦.

من بلاد الإسلام التي ابتليت بالديكتاتوريين الذين يحطِّمون الدين والدنيا .

جمع المال لأجل الكتاب

من اللازم جمع المال للكتاب حتّى يؤمن الناس به ويندفعوا إلى الكتاب بأنفسهم كاندفاعهم في الحال الحاضر إلى مجالس الاحتفالات والأعراس ومجالس الفرح حيث صارت جزءاً من حياتهم .

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عظمته وطاعة المسلمين له بما لم يسبق له مثيل يجمع المال والمساعدات بنفسه لأجل الحروب الطارئة ، كما كان يجمع المال لأجل الفقراء .

وكان غاندي الزعيم الهندي المشهور يجمع المال أيضاً لأجل المؤتمر المكافح للاستعمار ، وكان يمدّ يده إلى الناس كي يمنحوه ما تجود به أيديهم ، وأحياناً كان يمضي ورقة باسم المتبرّع ، وهكذا حتّى تمكن من جمع مائة مليون روبية . وكان ذلك المجموع شيئاً كبيراً جدّاً في ذلك الوقت . وكان يودع ما جمع في البنك إلى أن وصل إلى العدد الذي ذكرناه فصادره الإنجليز مرّة، ولما أُخبر بالمصادرة لم يتأفف ولم يسقط في يده ولم ييأس ، بل قال لابدّ وأن نجمع مرّة ثانية ثمّ بدأ في الجمع .

كما كان رئيس جنوب أفريقيا «مانديلا» الذي تمكن من تحرير بلاده ، كان يجمع المال لأجل التحرير، وأخيراً تمكن من تحرير بلده بعد أن قضى في السجن زهاء ثلاثين سنة ، إلى غير ذلك من الأمثلة .

أمّا الإنسان الذي يجمع المال ويصرف المال لأجل الكتاب يجب أن يكون نزيهاً وعند ذاك ينهال المال عليه . والنزاهة شيء صعب نفسياً وإثبات النزاهة بحاجة إلى مدّة حتّى يصدّق الناس بأنّه نزيه ، وكلّ ذلك حتماً يحتاج إلى التواضع (وفي جميع الأحوال متواضعاً)[١٦]، والصبر من الإيمان ، فإنّ (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد)[٢]،

---

(١٦) مفاتيح الجنان ص٦٣ دعاء كميل ، والدعاء والزيارة ص١٢٤.

(٢) عيون أخبار الرضا : ص٤٤ ، الإرشاد : ج١ ص٢٩٧ ، الخصال : ص٣١٥ ، نهج البلاغة لابن

وكما لا خير في جسد لا رأس معه كذلك لا خير في إيمان لا صبر معه ، وربّما يرى الإنسان نتيجة جهوده الصابرة الطويلة شيئاً كثيراً لم يكن يتصوّره .

أبي الحديد : ج١ ص٣٢٤ .

الأثلاث لطبع الكتب

كثيرٌ من الخيرِّين يوصون بثلث الإرث من بعدهم لأعمال الخير والبرِّ إمّا مطلقاً أو لبعض الخيرات كالإطعام وتزويج العزّاب وكفن الأموات الذين لا يملكون وما أشبه، وكلّ ذلك حسن ، ولكن من الحسن أيضاً أن يوصي الموصي كلّ ثلثه أو بعض ثلثه لطبع الكتب ونشرها أو للتخفيف من قيمة الكتب التي يحتاج إليها الناس ، مثلاً أن يخصّص ألف دينار من ثلثه لأجل إعطاء التفاوت ، مثل أن يطبع الكتب الأربعة[١٧] بتكاليف عشرة دنانير لكن الناس غالباً لا يشترونها بأكثر من ستّة دنانير فيعطي الأربعة الأخرى من الثلث ، وقد وجدت مثل هذا التخفيف في الصحاح الستّة[١٨] التي طُبعت في مصر ، حيث رأيت قيمتها أقل من التكليف ، ولما سألتُ عن السبب قالوا التفاوت من تبرّع بعض الأثرياء .

إنّ البنك الربوي المتعارف الآن محرّم شرعاً ، والحرام لا يأتي بنتيجة صحيحة ، وقد قالوا «النتيجة من جنس المقدّمات» .

ولا يجتني الجاني من الشوك العنب ولا من الحنظل يجتني الرطب

فإذا وُجِدَ بنك صحيح بدون ربا أو صندوق خيري مضمون أو تجارة مضمونة أو ما أشبه ذلك، أمكن أن يودع الثلث أو المال المتبرّع به لأجل الكتاب ونحوه في ذلك الصندوق التوفيري ، فيأخذ الإرباح المحللة، كان ذلك إضافة على رأس المال، ومن المستحسن أن يتخصّص جماعة خيّرون يذهبون ويشجعون الناس على الوصيّة لأنّها مستحبّة ، فيقترحون عليهم أن يخصّصوا بعض أثلاث إرثهم للكتاب ، وقد قال سبحانه : ﴿كم من فئة قليلة

---

(١٧) وهي الكافي لمحمّد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٨هـ ، ومن لا يحضره الفقيه لمحمد بن علي الصدوق ت ٣٨١هـ ، والتهذيب والاستبصار لمحمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠هـ .

(١٨) صحيح البخاري ت ٣٥٦ ، وصحيح مسلم ت ٢٦١هـ ، وسنن أبي داود ت ٢٧٥هـ ، وسنن ابن ماجه ت ٢٧٥هـ ، وسنن الترمذي ت ٢٧٩هـ ، وسنن النسائي ت ٣٠٣هـ .

غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾[١٩]، وذلك مصداقٌ ذَكَرَهُ الله سبحانه في هذه الآية ، فإنّ كلّ ما كان لله ينمو وقليله يكثر وحقيره كبير، وإنّ كلّ شيء بيد الله سبحانه: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير﴾[٢٠].

(**١٩**) سورة البقرة : الآية ٢٤٩ .

(**٢٠**) سورة آل عمران : الآية ٢٦ .

اليهود

كنت في العراق مهتماً في أمر معرفة الناس لما وراء الكواليس الذي انتهى إلى هذه الحالة المتردية للمسلمين ، وبهذا الصدد كنت أنشر الكتب التي توضِّح هذه الحقيقة ، مثل كتاب «التبشير والاستعمار» وكتاب «مذكرات الداكوركي» وكتاب «مذكرات مستر همفر» وكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون». وصرفت بعض اهتمامي لطبع الكتاب الأخير ، وبعد أن نشرناه في المكتبات نفذ بسرعة ممّا آثار تعجبّي ، كيف ينفذ هذا الكتاب بهذه السرعة ؟ وأوعزت لطبعه ثانية ، وبعد أقلّ من شهر نفذ أيضاً ، وفي مرّة ثالثة طبعته ووزعته على المكتبات .

ثمّ بعد أسبوع جاءني شاب مثقّف فأرشدته إلى شراء هذا الكتاب، وبعد أن ذهب رجع، وقال قد بحثت في المكتبات فلم أجد منه نسخة واحدة .

وتحقّقت بنفسي الأمر ، بعد أن أثار استغرابي نفاذ الكتاب بهذه السرعة في مدّة قصيرة ، وأخيراً اكتشفت إنّه كلّما طبع الكتاب جاء البعض إلى المكتبات فيشترون جميع النسخ ، وبالقرائن عرفت أنّ المشترين هم عملاء اليهود ، فإنّ اليهود وإن تركوا العراق وغيره من البلدان الإسلامية بعد اغتصاب فلسطين لكنهم أبقوا عملاءهم من أجل تنفيذ أمثال هذه الأمور[1]، ثمّ بعد ذلك منعت رقابة السلطة في العراق هذا الكتاب .

هكذا يسعى عملاء الغرب جاهدين لإبعاد المسلمين عن ثقافة الحياة ؛ ونفس الشيء سمعت في جملة من بلاد الإسلام ، قال سبحانه: ﴿إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [2] وفي الأحاديث (ويلجم يوم القيامة بلجام من نار)[3] ، فإنّ كتمان الحقّ وكتمان الباطل كونه باطلاً ، لهما ملاك واحد .

---

(١) من الأمور التي يركّز عليها اليهود في البلاد الإسلاميّة هي سرقة تأريخ وتراث الشعوب عبر سرقة الآثار وتهريبها إلى الخارج ليحيلوا بين الأمّة الإسلاميّة وماضيها .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٩ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢ ص٥٢ ح٢٥ ب١١ .

التشجيع على التأليف

وما أكثر المثقّفين القادرين على الكتابة في بلاد الإسلام سواء كان المثقّف حوزوياً أو أكاديمياً ، وما أكثر المثقّفات القادرات على تأليف الكتب وإن كن أقلّ من الأوّل، فكان لابدّ من تشجيع الطائفتين على الكتابة وتسهيل طبع الكتاب لهم .

إنّ أوّل مؤلّف في الإسلام هو الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام فقد ألّف كتاباً يسمى بكتاب علي عليه السلام أو «الجامعة» وفي الروايات النقل عنه .

وأوّل مؤلّفة في الإسلام هي السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فلها كتاب هو مصحف فاطمة ، وإذا علمنا إنّ السيّدة فاطمة تزوّجت وعمرها تسع سنوات وماتت وعمرها ثماني عشرة سنة ، وكانت تتولّى الشؤون المنزلية الصعبة في ذلك اليوم من الطحن والعجن والخبز والكنس والطبخ وإدارة ستة أطفال ذكور وإناث، على قول إنّها ولدت بنتاً ثالثة هي رقيّة ، علمنا أنّها كيف كانت تهتم مع مشاغلها الكثيرة بالكتابة، بالإضافة إلى مراجعة النساء لها في مسائلهنّ الشرعية وغيرها .

إنّ الحوزة العلميّة في قم المقدّسة وحدها . في الوقت الحاضر مع قطع النظر عن حوزات سائر البلاد . تشمل زهاء أربعين ألف طالب علم . كما يقولون . ولنفرض إنّ كلّ واحد منهم يؤلّف كتاباً لا أكثر ، يصبح لدينا أربعون ألف كتاب ، ولو طبع كلّ كتاب ألف نسخة يكون الحاصل أربعين مليون كتاب ، أليس هذا شيئاً كثيراً ؟ [1] .

---

(١) ولا يخفى إنّ الإمام المؤلّف (دام ظلّه) يدعوا إلى طبع ثلاثة مليارات كتاب في ثلاثة مواضيع ، مليار لتوعية المسلمين بحقيقة الإسلام ، ومليار للدفاع عن الدين الحنيف وردّ الشبهات التي يروّج لها البعض ، ومليار لبيان حقيقة الإسلام . لغير المسلمين . الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته لا الإسلام الذي دعى لتطبيقه بنو أميّة وبنو العبّاس وبنو عثمان وصدّام و... ، ويقترح لطباعة هذا العدد من الكتب ، تأسيس ثلاثمائة دار للنشر في ثلاثمائة مدينة في العالم ، على أن يكون لكلّ دار مجموعة فروع في القرى والأرياف والنواحي التابعة لها ، على أن تطبع كلّ دار عشرة ملايين

وهناك في قم المقدسة وفي سائر بلاد إيران مدارس للنساء لعلّها تحتوي على أكثر من خمسة آلاف امرأة ، أمّا في سائر البلاد رجالاً ونساءً كلبنان وسوريا والهند وباكستان وغيرها فلا يحصي عددهم إلاّ الله تعالى ، فإذا اتجهوا نحو الكتابة والتأليف تصبح النتيجة شيئاً كبيراً «وما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه»[1]. خاصّة إذا أخذنا بعين الاعتبار سهولة الطباعة والنشر في هذا العصر دون العصور السابقة[2].

كتاب في غضون ثلاثة سنوات . وهذا الأمر يسير إذا تكاتفت الجهود وتظافرت الأيدي لتحقيق ذلك .

(١) من القواعد الفقهيّة التي أشار إليها الإمام المؤلّف «دام ظله» في كتابه القواعد الفقهيّة ، وكذا أشار إليها العلاّمة المجلسي في البحار : ج٥٦ ص٢٨٣ ب٢٥ ، وكذا في غوالي اللئالي : ج٤ ص٥٨ ح٢٠٧ .

(٢) في العصور السابقة كانت الحركة الكتابية تختلف عمّا عليه الآن، فلو أردنا أن نستعرض تطوّر الكتابة في العصور السابقة من الرسوم والنقوش على الجدران والمواد الصلبة ثمّ إلى نظام الإشارات، كما كان يستخدمه البابليّون والسومريّون في الألف الثانية قبل الميلاد ثم إلى الحروف المسماريّة أو نستعرض أدوات الكتابة أو موادها وطريقة تحضيرها أو نستعرض كيفية نسخ الكتاب أو طبعه أو توزيعه أو نستعرض قدم النصوص الكتابيّة أو المكتبات العامّة والخاصّة وما تحتويها من مخطوطات أو نستعرض الرقابة ومسير الكتّاب أو أنواع الكتب وأحجامها وأشكالها لطال بنا المقام، وبإشارة نقول كانت الكتابة تتمّ على ألواح الخشب والطين والمواد الصلبة والجلود وورق البردى، وكانت بعض الدول تستخدم أعواد البامبو ودروع السلاحف والعظام والحرير ولحاء النخيل والقشرة الرقيقة البيضاء لثمرة البتولا للكتابة. وكانت الأقلام الكتابيّة عبارة عن أقلام القصب وريش الطيور والأقلام المعدنية ، وكان تحضير الحبر الأحمر والأسود يتمّ بصعوبة وكانت الأواني التي يتمّ حفّظ الحبر فيها تصنع من الفخار أو البرونز . فعلى سبيل المثال إنّ تحضير الأرقام الطينيّة يتمّ عبر وضع كميّة من الطين في إناء الماء لغرض تصفيته من الحصى والمواد الثقيلة ، حيث تترسّب هذه المواد في القاع ، أمّا القش وفتات الخشب وما أشبه فإنّها تطفو على السطح، فبعد إزالة ما يطفو يأخذ الطين بعد ترك ما هبط منه نحو الأسفل ، وكان يتراوح حجم الطين من «٥ ـ ٦» سم إلى «٢٥ ـ ٣٠» سم من حيث الارتفاع . وكان الكتّاب ينقشون الإشارات والرموز على الطين النقي ثمّ يوضع تحت أشعّة الشمس إلى أن تجف ثمّ يحفظ في الخوابي الطينيّة أو ترتّب على الرفوف .

وتحضير الجلود للكتابة يتمّ عبر غطس جلود الغنم والماعز ثلاثة أيّام في ماء الجير ، لكي يذوب عنها الشحم وبقايا اللحم ، وبعد ذلك يزال الصوف عنها وتشدّ ثمّ تترك مدّة من الزمن لكي تجف تماماً ،

وفي النهاية تؤخذ الجلود لتصقل من الطرفين وتقطع على شكل مربّعات . وكانت الكتابة تتمّ على الطرفين . وأقدم نصّ كتب على الجلود عُثر عليه في مصر ، يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وانتشر استعمال الجلود بكمّيات كبيرة في القرن التاسع قبل الميلاد في مصر والعراق ، ومنهما انتقل إلى البلاد الأخرى .

أمّا تحضير الورق بردى فيتمّ عبر أخذ ساق النبات وتقسيمها إلى شرائح طويلة ثمّ توضع الشريحة فوق الأخرى بشكل متصالب وتغمر في المياه ثمّ تجفّف تحت أشعّة الشمس ، وتصقل بعد ذلك وتسوّى أطرافها بحيث لا يبعد طول الصفحة ٢٥ . ٣٠ سم . وكانت الكتابة تتمّ على شكل أعمدة على طول الشريط وتتّصل ببعضها . وكان في بادئ الأمر يستخدم الجبس في طلاء الورق لئلاّ ينتشر الحبر في موضع الكتابة وبعد ذلك أُستخدم الصمغ الذي يصنع من الأشنة أو النشاء . واستخدم ورق البردى في الألف الرابعة قبل الميلاد في مصر ، ويعتقد البعض إنّ تاريخه يعود إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد في مصر ، علماً إنّ مصر كانت أكبر مصدّر لهذا الورق . وانتهى استعمال هذا النوع من الورق في القرن الثالث عشر الميلادي حيث حلّ محلّه الورق الجديد ، وكانت بغداد ودمشق تعتبران مصدراً مهمّاً لصناعة هذا الورق ومنهما انتقل إلى أوربا .

حملات الجهلة

سألت العلاّمة السيد محسن الأمين صاحب كتاب اعيان الشيعة ، كم من كتبنا غير مطبوع ؟

قال لي: تسعون في المائة ، وإذا ما طالعنا كتب الرجال لوجدنا أن أغلب المؤلّفين الكبار لم يطبع من كتبهم إلاّ القليل، مثلاً ذكروا في ترجمة كلّ من العلاّمة الحلّي والعلاّمة المجلسي أن لكلّ منهما ألف كتاب، بينما لا نجد بين أيدي الناس حتّى ربع هذا الرقم، فأين البقيّة؟

فالكتاب كان ولا يزال قبل الإسلام وبعده عرضة للحرق، فالمغول . مثلاً . أحرقوا مكتبة السيّد المرتضى في بغداد ، هذا إضافة إلى أنّ أعداد كبيرة من الكتب رميت في الأنهار أو أنّها دفنت حتّى لا يعرف الناس بالحقيقة الناصعة ، والتاريخ يزخر بكلّ ذلك أو ببعضه بالرغم من أنّه لم يحفظ كلّ شيء[1].

---

(١) تعرضّت الكلمة المكتوبة ومنذ سابق الزمان في بلاد الإسلام إلى الإحراق أو الإلقاء في المياه ، سواء من قبل الغزاة المحتلّين كما في القرون الوسطى وما بعدها أو من قبل الحكّام الديكتاتوريّين عبر الأزمات الحقيقيّة أو المفتعلة التي يحدثها الحكّام لتبرير حسّاسيّاتهم اتّجاه الأفكار المناهضة لهم. وإليك بعض النماذج: ـ عندما احتلّ هولاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ ، أمر بإلقاء الكتب في نهر دجلة ، وكانت في إحدى المكتبات مليون مخطوط. ـ عندما احتلّ الغرب بلاد الشام سنة ٥٠٢هـ في الحروب الصليبيّة أحرقوا المكتبات الموجودة بما فيها المكتبة الموجودة في طرابلس، والتي كانت تضمّ ثلاثة ملايين كتاب، وكان من بين هذه الكتب عدداً لا بأس به من نسخ القرآن الكريم، علماً إنّ قيمة أمثال هذه المكتبات يتبيّن إذا قايسناها بالمكتبات في هذا العصر مع لحاظ الفرق بين العصرين من وجود الورق والدواة وسرعة الطباعة والنشر وانخفاض التكاليف. ـ عندما انتزع الغرب بلاد الأندلس من أيدي المسلمين في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أحرق جميع المكتبات التي كانت هناك . ـ ما عمله بعض حكّام المسلمين استنصاراً لمذهبٍ دون مذهبٍ آخر ، كما فعل ذلك خلفاء بنو أميّة وبنو العبّاس وبنو عثمان بكتب الشيعة، حتّى إنّ بعضهم كان يلقي برماد الكتب المحروقة في البحر أو النهر أو ينثرها في الهواء تشفيّاً منها. ـ عندما أسقط صلاح

وقد نقل لي السيّد علي الشبّر (رحمه الله تعالى) أنّه ذات مرّة ذهب إلى الكاظمية واستأجر غرفة في فندق ، وفي الليل لم يتمكّن من المنام لأنّ الرياح كانت تخفق بشدّة وتضرب بالأوراق ، وحيث كان الصوت يأتي من ناحية المرحاض قمت ونظرت وإذا بكتاب لجدي واقع في المرحاض ، والهواء الذي يخرج منه في طريقه إلى السطح هو الذي يحدث ذلك الضوضاء . قال السيد علي: فأخذت الكتاب ولما نظرت إليه رأيته كتاباً من كتب جدي مخطوطاً بقلمه فأخذته وحفظته.

عرفنا ممّا سبق إنّ الكتب المخطوطة التي لم تطبع إلى زمان العلاّمة السيد الأمين هي تسعون في المائة . حسب ما قال . ومن المعلوم إنّ الكتب المحروقة والمدفونة والضائعة أيضاً لا تقل عن تسعين في المائة من المجموع إن لم تكن أكثر[٢٢] . ولاشكّ إنّ العلم الكثير الكثير

الدين الأيّوبي الدولة الفاطميّة أحرق جميع المكتبات التي كانت في البلاد ، فأضرم في بعضها النار وألقى بعضها الآخر في نهر النيل وترك بعضها في صحراء سيناء ، فسفت عليها الرياح حتّى صارت تلالاً عرفت بتلال الكتب، كما إنّ حمّامات القاهرة بقيت ستة أشهر تحرق كتب الشيعة لتسخين المياه في مراجلها . ومن تلك المكتبات التي أحرقها ، خزانة الكتب التي أنشأها الحاكم الفاطمي « العزيز بالله » سنة ٣٦٥هـ ، وكانت تحتوي على مليون وستمائة ألف كتاب في الفقه والنحو والحديث والتاريخ والطبّ والكيمياء وغيرها، يقول جورج زيدان في كتابه تاريخ التمدّن الإسلامي المجلّد الثاني ص٢٢٩ : كانت تحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة وستّة آلاف وخمسمائة جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة ، وكان فيها «٣٤٠ » ختمت قرآن بخطوط منسّقة مزيّنة

بالذهب ومجلّدة بشكلٍ نفيس وكان فيها «١٢٠٠» نسخة من تأريخ الطبري . وكذلك أحرق دار الحكمة التي أنشأها الحاكم الفاطمي «أمر الله» سنة ٣٩٥هـ ، وكانت تضمّ أكثر من مائة ألف كتاب . يقول الدكتور الكسندر ستيبتشفيتش في كتابه تاريخ الكتاب القسم الأوّل ص١٤٣ ما نصّه : وقد سجّلت نهاية العصر الفاطمي بداية انهيار المكتبات الكبرى في القاهرة . فقد أدّى النهب والحرائق واللامبالاة إلى القضاء على قسم كبير من ثروة المكتبات التي كان الخلفاء الفاطميّون وهم من محبّي الكتب قد أنفقوا عليها الكثير من اهتمامهم وثروتهم .

(٢٢) يقول السيد محسن الأمين في مقدمة كتابه أعيان الشيعة ص١٤ : « إن الكثير من مؤلفات علماء الشيعة ذهبت في الفتن و الغارات في بلاد الإسلام » . وحول كتب الشيعة وعلمائهم راجع كتاب الفهرست للشيخ الطوسي والفهرست لابن النديم والفهرست لابن بابويه ومعالم العلماء لابن

لم يصل إليه الإنسان مع منزلة العلم الكبيرة عند الإسلام ، وقد ورد (من علّمني حرفاً فقد صيّرني عبداً)[٢٣] ، وجاء في قوله سبحانه : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٢٤]، ولذا فمن الضروري الاهتمام بهذا الجانب قدر الإمكان ، حتّى يتحقّق التقدّم للمسلمين .

شهر آشوب والكنى والألقاب للشيخ عباس القمّي والذريعة للشيخ آغا بزرك الطهراني وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين وأمل الأمل في علماء جبل عامل .

(**٢٣**) وكذا ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من تعلّمت منه حرفاً صرت له عبداً) بحار الأنوار : ج٧٧ ص١٦٦ ح٢ ب٧ .

(**٢٤**) سورة الزمر : الآية ٩ .

سر تقدم اليابان

سألت أحد الأصدقاء التجّار الذين كانوا يتردّدون كثيراً على اليابان عن سرّ تقدّم اليابان ؟

قال : إنّ تقدّمهم بسبب الكتب .

قلت له : كيف ؟

قال : إنّك إذا دخلت طوكيو أو غيرها من المدن اليابانية تجد في المطار مكتبة ، وفي الحديقة العامّة مكتبة ، وفي الطيارة مكتبة ، كذلك في قطاراتهم وسياراتهم المعدّة لنقل المسافرين ، وفي عيادات أطبائهم ، ومكاتب محاميهم ، ففي كلّ مكان هناك مكان مخصّص للكتب يستطيع كلّ إنسان أن يستفيد منها .

وإذا دخلت البيت الياباني تجد في المدخل مكتبة ، وفي غرفة الاستقبال مكتبة، وفي غرفة الطعام مكتبة ، وفي غرفة النوم مكتبة ، وإذا ركبت القطار أو السيّارة أو الطائرة تجد الأغلب في حالة مطالعة لكتاب أو جريدة أو نشرة [٢٥].

أقول : قد عملنا هذا الأمر في كربلاء المقدّسة بالنسبة إلى الكشوانيات للحرمين المقدّسين وللمساجد والحسينيات ولعيادات الأطبّاء ولمكاتب المحامين وللمقاهي ولغيرها، لكنّ الحكومة منعت كلّ ذلك .

نعم ، فعلنا مثله في الجملة في الكويت، وهي باقية إلى الآن والحمد لله ، وأسأله أن يديمها وأن يزيدها .

فمن اللازم ، الاهتمام بإنشاء المكتبات العامّة والخاصّة حسب الإمكان ، وأن يكون في كلّ بيت مكتبة ولو من مائتي كتاب ، فإنّ المكتبة جمال بغض النظر عن إنّها مبعثٌ للعلم

(**٢٥**) ازدهرت اليابان في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي في طباعة الكتاب بواسطة القوالب الخشبية ، وفي منتصف القرن التاسع عشر استخدم اليابانيون الحروف المتحركة في الطباعة .

وإشعاعٌ للفكر[1].

وقد قرأت في تقرير أنّ الكونجرس الأمريكي يحتوى على «٩٠» مليون كتاب ، فالمفترض أن نجعل من الكتاب جزءاً من حياتنا حتّى تكون النهضة الصحيحة لبلاد الإسلام وإلاّ فالجهل لا يبعث التقدّم

فقرّ بالعلم لا تخشى به بدلاً والجاهلون لأهل العلم أعداء

والعلم وإنّ أمكن الحصول عليه من الإذاعات والتلفاز والأقمار الصناعية والانترنيت والجرائد والمجلاّت والأشرطة ونحوها من الوسائل الحديثة ، إلاّ أنّه لا يستطيع أن يسدّ مسد العلم الذي نحصل عليه من الكتب، إذ أن هذه الوسائل غالباً ما تكون بيد الحكومات وهي لها آراؤها المعروفة ، بينما الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها الناس هي الكتاب ، فلابدّ من استخدام هذه الوسيلة على أفضل ما يكون .

هذا آخر ما أردنا إيراده في هذا المختصر ، نسأل الله سبحانه أن يتقبّله بقبول حسن ، وما ذلك على الله بعزيز .

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين .

قم المقدّسة

محمّد الشيرازي

٩ جمادى الثانية ١٤١٩هـ

---

(١) إنّ وجود الكتاب في البيوت يعتبر دليلاً قويّاً على اهتمام أصحابها بالثقافة والعلوم وما تحتويه مضامين هذه الكتب .

الفهرس

مقدمة الناشر ٢

مقدمة المؤلف ٦

صدقة جارية ٩

فائدة الكتاب ١١

رؤياي للإمام الحسين عليه السلام ١٣

تراجم الإنجيل ١٥

الرقابة ١٧

كتاب المراجعات ٢٠

رؤيا الحاج النوري ٢٢

الكتاب الصغير الحجم ٢٤

الطغاة والكتاب ٢٥

جمع المال لأجل الكتاب ٢٧

الأثلاث لطبع الكتب ٢٩

جمع الكتب ضدّ اليهود ٣١

التشجيع على التأليف ٣٢

أين هذه الكتب ؟ **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

اليابان واحترامهم للكتب ٣٨

الفهرس ٤٠